

## التزاحم بين الفصحى والعامية في درس اللغة العربية دراسة ميدانية

أ.م.د. حسن الخاقاني

### المقدمة:

تعد العربية من اللغات الواسعة الانتشار، وهي ذات تاريخ طويل لا يقل عن ألفي سنة في أقل تقدير، وقد مرت هذه اللغة بمراحل مختلفة في تاريخها، فصاحبته بعض اللهجات المشتقة منها، وهذا أمر متوقع من لغة بهذه السعة وهذا الانتشار، ثم ما لبثت أن اجتمعت عليها عوامل الزمن حتى جعلت العامية منها تزاحم الفصحى وتقضيها عن مكانتها الرفيعة لتحل محلها في بعض المجالات فتدعى بعض المفرضين الى الغاء الفصحى وإمايتها نهائيا تمكينا للعامية - او للعاميات - وجعلها اللغة الرسمية للعرب.

وإذ لم تغب الفصحى عن مجال الاستعمال لما تمتلكه من عوامل الرسوخ في الضمير العربي والإسلامي فإن العامية لم تكف إلى اليوم عن مزاحمتها ودفعها عن مرتبتها ومحاوله الحلول محلها وذلك بفعل عوامل كثيرة منها القديم ومنها المستجد حتى اقتحمت مجال الدرس اللغوي نفسه فصار تعليم الفصحى يجري بالعامية ويا للعجب !

يريد هذا البحث المستخلص من خبرة عملية، ودراسة ميدانية أن يستقصي هذه المشكلة فيعرض لها بصورتها التي انتهت إليها باحثا عن العوامل التي تدفع باتجاه تمكين العامية من أجل الحد منها ثم إيقافها، ومنبها إلى مكنم الخطر الناتج عن ذلك انطلاقا من حقيقة ارتباط الفكر باللغة، واللغة بالفكر والتفكير، مستندا في ذلك إلى آراء العلماء والباحثين الذين أفاضوا في هذه القضية مدفوعا بغيرته وحرصه، وأداءً لواجبه إزاء لغته التي ينتمي إليها معتزا بها.

جرت الدراسة على هذا النحو المبسط في عرض جذور المشكلة وبيان تجلياتها لتنتهي إلى خاتمة ضمت جملة من التوصيات التي ربما تسعف الفصحى وتحد من نشاط العامية المتزايد في بلداننا هذه الأيام بفعل دوافع ومؤثرات مختلفة، وقد الحقت بالدراسة جدولا حوى نسبا تقريبية لاستعمال كل من الفصحى والعامية في مختلف المراحل الدراسية مستخلصا من جولة ميدانية ومقابلات شخصية.

ندعو للغتنا الفصحى بالتمكين في نفوس أبنائنا، والتغلب على العامية التي ما فتأت تزاحمها، ونرجو أن يكون الدعاء الصادق مشفوعا بعمل جاد لأن الدعاء وحده لا يكفي، والله المستعان !

لابد من أن ننتقل في البدء من تقرير حقيقة واقعة لا ينفع اغفالها أو التغافل عنها في حلها وتجاوزها، تلك هي تشعب اللغة العربية الفصحى إلى لهجات عامية مشتقة منها، ولكنها ما زالت تتباعد عنها وتناهى حتى تكاد أن تكون غريبة عنها تماما. وقد اتفق دارسو تاريخ العربية على وجود مجموعة من اللهجات إلى جانبها في شبه الجزيرة العربية وما جاورها قبل مجيء سفرها الأعظم القرآن الكريم الذي أبرز عربية فصحى موحدة إلى الوجود ذات كيان متميز من سواه وإن احتفظ بآثار من تلك اللهجات الشائنة فضلا عن بعض مفردات من لغات الأقوام التي جاورت العرب واحتكت بهم.

يمكن أن نطمئن إلى تقرير وجود اللهجة العامية وسيرها عبر الزمن إلى جوار أمها الفصحى فهذا أمر تثبتته سنة التطور التي تشمل اللغة أيضا (فاللغة كأية ظاهرة اجتماعية عرضة للتطور في مختلف عناصرها: أصواتها وقواعدها ودلالاتها، وإن تطورها هذا يجري وفق اتجاهات عامة وفي نماذج رئيسة، ولا يد لأحد على وقف عملها أو تغيير ما تؤدي، وليس في قدرة الأفراد أن يوقفوا تطور لغة ما أو يجعلوها تجمد على وضع خاص) ٢ غير أن هذا التطور يسير باتجاهين فقد يعلي من شأن قيمة اللغة

ويعزز مكانتها وقد يحدث العكس، ولا شك في أن الإتجاه نحو العامية ينتمي بشدة إلى هذا التطور السيء فيها. اهتدى الباحثون المحدثون - بدءاً من فرديناند دي سوسير ١٨٥٧-١٩١٣ - إلى ثنائية اللغة والكلام التي أصبحت منطلقاً علمياً لدراسات متشعبة، فاللغة هي مجموع القواعد وكلمات المعجم التي يكتسبها الإنسان من بيئته ومحيطه الاجتماعي، ثم يتمكن من التصرف فردياً بهذه الثروة التي اكتسبها وهذا هو الكلام، فاللغة ثروة جمعية عامة، والكلام استعمال فردي لها غايته التداول والتوصيل والتعبير والتأثير، ولذلك يكتسب الكلام أهمية كبيرة لأنه يصبح دالاً معرفياً على مضمونه. ٢٠ على أنه يظل بارتباطه الوثيق باللغة، وليس جزءاً منفصلاً عنها كما قد يبدو.

تنتمي اللهجات العامية إلى الكلام أكثر من انتمائها إلى اللغة وإن كانت تصدر عنها مفهوماً وتطبيقاً، أعني من احتفاظها بنسق تنظيمي يحكم طرائق استعمالها، أما انتماؤها إلى طرف الكلام من الثنائية المذكورة فمفرد الاستعمال والتداول والتعبير والتأثير التي هي السمات المباشرة للكلام، فضلاً عن الانتقاء والتأليف، وهي بذلك تزيد حصتها بمقابل الفصحى من الدوران على الألسنة حتى لتكاد تغلب تماماً في بعض البيئات لتغيب الفصحى، ولا أعني بالفصحى هنا لغة الشعر الجاهلي، أو لغة القرآن والحديث الشريف (وإنما هي لغة تشترك مع هاتين في نواح وتختلف عنهما في نواح أخرى مهمة، إنها مرحلة لاحقة من مراحل تطور اللغة العريقة تمتاز بخصائص معينة في حياتها) ٥ ولذلك أطلق عليها بعض الباحثين تسمية الفصيحة عدولاً عن سمة التفضيل التي تحملها إلى ما هو أدنى منها تقريراً لحقيقة واقعة.

فما الذي يجعل الفصحى تزاح عن مرتبتها الرفيعة لتغدو فصيحة، ثم لهجة عامية كثيرة التداول؟  
أجاب المنهج التاريخي في دراسة اللغات عن تفرع اللغة إلى لهجات منذ القدم، وما يهمننا هنا حالنا الحاضرة في عصرنا هذا، لنقف على الأسباب التي أعانت العامية أو العاميات ومكنتها من النمو والتجبر حتى صارت تراحم الفصحى والفصيحة وتزيحها عن كثير من المجالات فبلغت المراحل التعليمية عامة، وتعليم العربية نفسها سواء منها الدنيا أم العليا!  
يمكن الوقوف على أسباب علمية تتعلق بطبيعة اللغة نفسها، فاللغة وسيلة تواصل قابلة للتطور والتغير، وهي ذات (مسلك اجتماعي يقع في نماذج تركيبية معينة، ومجموع كل طائفة من النماذج المتجانسة يكون جهازاً لغوياً معيناً، وإن المنظمة اللغوية لأية لغة تتكون من مجموع الأجهزة المركبة من نماذج، ومن هذه الأجهزة الجهاز الصوتي، والصرفي، والنحوي، والمعجمي) ٦ ولما كانت هذه الأجهزة بنفسها قابلة للتعديل والتحوير، وغير محصنة من ذلك - على مستوى الاستعمال في الأقل - أصبح متاحاً أمام المستعملين اجترار تطوير باتجاه ما في كل جهاز، ولا سيما الصوتي الذي يكون منطلق التحوير ثم العدول، ثم إقرار هذا العدول الجديد وجعله قاعدة ومرتكزاً، (فالتغيير اللغوي هو انتقال ظاهرة لغوية من حال إلى أخرى، أو حلول ظاهرة لغوية محل ظاهرة لغوية أخرى في مرحلة من مراحل تاريخ اللغة المعينة... والتغيير يصيب أنظمة اللغة المختلفة وإن كان تأثيره في المجال الدلالي أكبر، ويكفي للتمثيل على ذلك أن نعقد مقابلة بين العربية الفصحى وإحدى اللهجات المحلية المعاصرة التي تعد تطوراً لها) ٧ لنرى الفرق الواضح بينهما.

أما اللهجة من جانبها فإنها تمتاز عن الفصحى بأنها أكثر مرونة بكثير من حيث القدرة على استقبال الوافد الجديد من المفردات والمصطلحات والتركيبات، وعلى إنتاج كلمات جديدة مع القدرة على سلكها في تعبيرات جديدة هي استجابة مباشرة لمتطلبات مستعمليها، وهذا ما يبدو واضحاً في حياتنا الاجتماعية الحاضرة، ولورجعنا إلى عقدين أو ثلاثة مضت لما وجدنا في اللهجة العامية كثيراً من الكلمات التي استجدت لدينا الآن وهي في طور التداول والاستعمال على نطاق واسع، على إنها عرضة للاندثار وحلول غيرها محلها بحسب الحاجة.

وأما استعمال اللهجة العامية وتفضيلها فيرجع إلى أنها أقرب إلى نفس مستعمل اللغة ولذلك يميل إليها، بل يعدل عن الفصحى والفصيحة في أية لحظة تنقصه القدرة فيها عن التواصل فيفترف من مخزونه العامي كلما أحوجه العجز إلى ذلك وما أكثره!

**العوامل التي تنشط العامية وتحاصر الفصحى:**

اجتمعت جملة من العوامل التي أعانت العامية على الانتشار والتوسع لتحاصر الفصحى قديماً، وقد وقف عندها الباحثون طويلاً، وما يهمننا هنا هو العوامل المستجدة في عصرنا الحاضر نعرض لها بإيجاز شديد لا يعدو أن يكون تذكيراً بها حسب، ومنها:

- ١- الإعلام بكل ما يضم من تنوع الأدوات ووسائل عملها ومنها الفضائيات والإذاعات التي تعتمد الصورة إلى جانب الكلمة المسموعة وهي تبت بلا انقطاع مادةً يغلب عليها العامية ولا سيما المجال الفني الذي يحظى باهتمام الشباب كالفن الغنائي، والمسرح التجاري، وبرامج المسابقات، والمسلسلات العربية أو الأجنبية المدبلجة إلى العامية، والإعلانات والبرامج الرياضية، والمباريات والتعليق عليها، وغيرها.
  - ٢- أجهزة الاتصال وخاصة الهاتف النقال «الموبايل» الذي يستعمله الأميون وأشباههم بنسبة كبيرة سواء بالاتصال الشفوي أم في كتابة الرسائل النصية.
  - ٣- الأنترنت وما يضم من وسائل التواصل الاجتماعي كالفيديو وتويتر وغيرها، فهذه تكاد تسلم نفسها جميعاً إلى العامية، بل إلى عامية رديئة مبتذلة أحياناً.
  - ٤- نجوم المجتمع الذين يمثلون قدوة لفئة الشباب خاصة كالفنانين والرياضيين الذين لا يجيدون في الغالب سوى عامية بلدهم التي يبتون بها آراءهم إلى جمهورهم فيتركون فيه من آثار العامية ما لا يخفى.
- قد يقول قائل: وما الضرر في الميل نحو استعمال العامية ما دامت الفصحى رصينة محفوظة لا يكاد مغرض أن يمس قواعدها أو العبث في أصل بنيتها القائمة المحفوظة؟
- الحقيقة إن العامية لا تنفي الفصحى وليس ثمة خطر مباشر على أصل الفصحى وبنيتها القائمة وليس للفصحى أن تذيب العامية وتتغلب عليها في الزمن المنظور فليست العربية بدءاً في ذلك (ففي كل أمة لغة كتابة ولغة حديث، في كل أمة لهجة تهذيب ولهجة ابتذال، وفي كل أمة كلام له قواعد وأصول وكلام لا قواعد له ولا أصول، وسيظل الحال على هذا ما بقيت لغة وما بقي الناس يتمايزون في المدارك والأذواق... فالفصحى باقية والعامية باقية مدى الزمان، ومزية الأولى القواعد والاحكام، ومزية الثانية الفوضى والاختلاط، وإذا جاز في زمن أن تنسى الفوارق كلها في التفكير والإحساس والإشارة والمقام فهناك يجوز أن تلتقى القواعد وتبطل اللهجات وتطفئ العامية على الفصحى في كل بيئة وكل موضوع وهيئات (١) كما يرى العقاد ذلك.
- إن مكنم الخطر الرئيس الناشئ من شيوع العامية يمكن أن يلخص في قضيتين رئيسيتين هما: ارتباط اللغة بالفكر والتفكير، والترابط العاطفي بين اللغة والشعور أو الوجدان.

**القضية الأولى:**

يبدو الإجماع واضحاً لدى الدارسين على الترابط الوثيق بين اللغة والفكر إذ لا فكر ولا تفكير من دون أن ينتظم في مفردات وتركيبات ليأخذ الفكر وجوده المادي المتحقق باللغة، بل إن اللغة هي التي تمنح الإنسان كيانه الفكري المتميز بدءاً من طفولته الأولى التي يتلقى فيها أولى الأصوات اللغوية الأكثر بساطة، (ولا شك في أن اكتساب الطفل اللغة هو الشرط الأول والأهم في تطور العقلي وفي نشوء وظائفه العقلية ذلك لأن تفاعله مع البيئة المحيطة الطبيعية والاجتماعية يحصل بالدرجة الأولى والأهم عن طريق اللغة وليس فقط عن طريق الاحتكاك المباشر بالأشياء المادية) ٩ وحدها ليحقق باللغة وبما تحمله من ترتيب للأفكار تواصله الإنساني والاجتماعي الذي ينمو بنموه محقق مبدأ التراكم المعرفي والسلوكي المتحصل من احتكاكه ببيئته ومن فيها (فلا يكتسب الطفل قواعد لغته بل يتلقى كذلك قواعد السلوك الاجتماعي المصاحبة لهذا النشاط اللغوي واكتساب اللغة عملية نمو تدوم ما دامت الحياة في البيت أو في المدرسة أو في الجامعة أو في العمل ويكتسب الطفل لغة مجتمعه على مراحل متدرجة (١٠) فتحدث نسفاً تصاعدياً كما ونوعاً مع إمكان الإنسان في تدرجه العمري الصاعد مغادرة المستوى اللغوي الأولي الذي اكتسبه وإن

احتفظ ببعض آثاره وهذا يعني إمكان التخلص من العامية والارتقاء الى الفصحى وهو ما تثبته التجارب الملاحظة لدى الطبقة المتقنة التي تستعيز بالفصحى عن العامية أداءً وسلوكاً.

إن ارتباط اللغة بالفكر يبدو واضحاً حتى يكاد (يجمع الباحثون على ان التفكير واللغة عند الانسان لا ينفصلان اذ لا يستطيع الانسان تخيل فكرة بمعزل عن الألفاظ التي تصورها) ١١ ولكن الذي ينتج عن ذلك هو مدى تدخل اللغة في الفكرة التي تصورها اذ يمكن ان تكون اللغة التي هي وسيلة لذلك ذات اثر في الفكر فهي ليست وسيطاً محايداً يمتنع عن التأثير والتأثر وهذا ما يدعونا الى فحص العلاقة بين الفكر وكل من الفصحى والعامية كلاً على انفراد اذ لا يقتصر الأفراد على الجانب التواصل من اللغة ذلك بأن (قدرة مستعمل اللغة الطبيعية تشمل - في الأقل - خمس ملكات: ملكة دائمة الحضور في عملية التواصل اللغوي وهي الملكة اللغوية، وملكات يلجأ اليها عند الحاجة وهي الملكات المعرفية والمنطقية والاجتماعية والإدراكية) ١٢ وهذا يعني تدخل مؤثرات أخرى مهمة الى جانب المؤثر اللغوي، وإذا كان مصدر هذه المؤثرات عامياً فإن الفكر الذي ستحملة اللغة المستعملة سيكون عامياً أيضاً، وبهذا ينخفض مستوى الفكر المتداول بين مستعملي اللهجة العامية ويتعدى عليه الارتقاء عن مستواه المتوقع الذي يكاد يلزم درجة واحدة يصعب عليه مغادرتها، أو يجد نفسه في فجوة واسعة إن حاول أن يغادرها ١٣.

### القضية الثانية:

ويأتي الخطر من هذه القضية في أن اللغة حين اكتسابها لا تكتسب وحدها وإنما يصاحبها تأثر عاطفي وجداني يترك آثاره المستقبلية في مستعمل اللغة على المدى البعيد إذ (تشأ علاقة وجدانية بين اللغة والناطق بها علاقة تتربى في العقل الباطن والوعي الإنساني منذ أن يبدأ الانسان في محاولة التلفظ ببعض الكلمات التي تلتقطها الأذن وتربط الكلمة هذا الكائن المنطوق أو المفوظ بالشيء المحسوس أو المادي، وكلما ازداد عقل الطفل ارتبط المفوظ والمنطوق بال مجرد وفي كل مرة يكتسب الانسان كلمة جديدة سواء المحسوس أم المجرد ينمو في وجدانه شعور ما وتصور ما تجاه الكلمة) ١٤ التي تنتقل من طور العلاقة الوجدانية الى طور التحكم في القرار والتصرف تأثراً بالدافع الوجداني المنبعث من المؤثر اللغوي فكثيراً ما (ترتبط التعبيرات الانفعالية عند الانسان كما يرتبط محتواها الاجتماعي ارتباطاً وثيقاً باللغة التي لولها لاستحالة تجسيد العواطف، وقد ثبت أن للكلمات أثراً فسلجياً عميقاً في حياة الإنسان من الناحيتين الإيجابية والسلبية) ١٥ وهذا ما يجعل السعي الى الارتقاء باللغة سعياً الى الارتقاء بالفكر وبحثاً عن تأثيرات ايجابية نافعة، واقصاءً لآثار سلبية ناتجة من العلاقة مع العامية، وهو أمر لا يقتصر على المصدر الباث للغة، أعني الناطق أو الكاتب بها (فالكلية تكون في العادة مشحونة بجوانب انفعالية مختلفة العمق بالنسبة لمن يكتبها أو يقرؤها أو يتحدث بها أو يسمعا) ١٦ لتكون الآثار الناتجة ذات طيف واسع الانتشار قد يصعب السيطرة عليها أو التحكم بمسارها، لذا لا بد من ضبط مصدرها أولاً وهو اللغة.

إذا كانت اللهجات أو العاميات ذات منشأ تاريخي قديم وظلت مصاحبة للفصحى الى يومنا هذا فإن أمرها واضح من الناحية العلمية، ولكن الدعوة الى ترسيخها، ودعمها واحلالها محل الفصحى هي دعوة غير بريئة، ولا تخلو من غايات غير بريئة أيضاً، وإن لاقت قبولاً أو تحمساً أحياناً من العرب أنفسهم، بدوافع مختلفة فقد (بدأت الدعوة من المستشرقين، وبدأت أولى المدارس التي قصرت اهتمامها على تدريس العامية العربية في إيطاليا عام ١٧٢٧م ومن فرنسا عام ١٧٥٩م وفي روسيا عام ١٨١٤م وفي المجر عام ١٨٩١م وكذلك الأمر في بريطانيا وألمانيا) ١٧ ومن هذا يبدو واضحاً كيف (كان الدعاة الى العامية في أول الأمر من غير العرب... ولم يلبثوا قليلاً حتى وجدوا من أبناء البلاد العربية من شابعهم وأخذ بأرائهم وكان أغلب المستشرقين من غير المسلمين) ١٨ وإن كانت الغايات المعلنة ذات طلاء علمي استغلت نزعة سائدة في المجتمع العربي آنذاك.

أما في العصر الحاضر فإن الدعوة تلبست وجهاً جديداً هو الدعوة الى إحياء التراث الشعبي والمحافظة عليه، وجعله الواجهة الحضارية الأولى لأجزاء من البلاد العربية مصاحباً لنزعة إقليمية أو عرقية ضيقة، فنجد ان التوجه الى العامية مثلاً قد (نشط في الجزيرة العربية والخليج في السنوات القليلة الماضية وما زال مستمراً متزايداً حيث أعلن محبو العامية

ان تراثنا وتاريخنا وماضيها كله هو هذا الفكر العامي، وأكثر هؤلاء اعتدالاً من يجعل العامية وثقافتها حجر الزاوية في تشكيل القيمة الفنية لتراثنا وحضارتنا) ١٩

ولم يقتصر الأمر على الدعوة، او التنظير لشيوع العامية باسم إحياء التراث ٢٠ وانما اتسع ليمثل في مؤسسات ذات امكانات وتأثيرات ضخمة واتجهت الى الاعلام مسخرة في ذلك صحفا ومجلات مختصة وأقامت مؤتمرات وندوات ونشرت بحوثا ثم أسست فضائيات خاصة لنفسها فضلا عن الانترنت ووسائل تواصله المختلفة.

إن الذي يؤكد شيوع العامية ونشرها لغة وفكرا هو الدعم والتبني الرسمي من السلطات الرسمية التي وجدت نفسها في حاجة ماسة الى تنمية هذا الاتجاه في مختلف البلدان العربية بحثا عن الاصالة والمحافظة على التراث استجابة منها لميول شعوبها التي توافقت مع غاياتها.

### العلاج:

قد تبدو هذه المشكلة عميقة مستعصية، وقد يبدو حلها عسيرا لا ينال، ولكن الأمر ليس كذلك، وإن كان ليس سهلا في الوقت نفسه، وليست به حاجة إلا الى قرار أكيد، وصبر لزمان غير قليل.

ينطلق العلاج من رؤية علمية تخص الانسان واللغة، الانسان في قدرته اللامحدودة على التعلم، واللغة بقابليتها للفهم والاستعمال غريزيا إذ ترى بعض النظريات العلمية اللغوية ٢١ (بأن لدينا نزعة فطرية لفهم اللغة، وهذا ما يفسر كيف ان تعامل الطفل مع التعقيدات اللغوية الفاتئة أسهل من تعلم العمليات الحسابية البسيطة كالضرب والقسمة) ٢٢ وهو ما يفتح أمامنا إمكان الانطلاق في تعليم الطفل اللغة الفصحى لا عن طريق الكتب المنهجية وحدها، وانما عن طريق توفير بيئة اجتماعية ولغوية سليمة تبدأ من الأسرة أولاً، ومن المعلم المؤهل علميا ونفسيا ولغويا، ومن البيئة الثقافية العامة التي يحيى فيها الطفل حين تطرق سمعه ملايين الكلمات، ولا سيما من برامج الأطفال التي بدأت - للأسف الشديد - تحيد عن طريقها القويم الذي اختطه في العقود الماضية من التزام باستعمال الفصحى في البرامج كلها، فالطفل يكتسب لغته من محيطه مصحوبة بالفكر والسلوك، فإن شئنا ان نوجد طفلا قويا في فكره وسلوكه علينا أن نغذيه بلغة سليمة ذات فكر وسلوك رفيين، وأجد خير ختام لهذا البحث تجديد الدعوة التي أطلقها الشيخ محمد رضا الشيببي ٢٢ عام ١٩٥٦ التي يقول فيها: (والخلاصة لنا كل يوم دليل قاطع على عقم هذه اللهجات الشائنة المحكية في الأقطار العربية وعدم غنائها في ناحية التعليم والتأليف والصحافة لبلبلتها واضطرابها واستحالتها، وإذا لم تكن لغة دولة ترعاها وتحذب عليها ضعفت وطغت عليها هذه اللهجات المنشقة عنها كما نراه الآن، ولذلك نقول: على الدول العربية القائمة أن ترعى لغة العرب، وأن تتخذها لغة التعليم في جميع مراحل الدراسة، وأن تعنى العناية التامة مع ذلك بلغة دواوينها ومصالحها الرسمية، وليكن شعارنا: لغة واحدة، ثقافة واحدة، امة واحدة) ٢٤

### الخاتمة:

انتهت الدراسة الى غلبة العامية على حياتنا وممارساتنا اللغوية في مختلف المستويات الدراسية في تعليم العربية وهذه مسلمة في الحياة الاجتماعية وليست نتيجة تستنتج، لذا تريد هذه الدراسة لنفسها أن تضع مجموعة من التوصيات التي قد تساعد في ترجيح كفة الفصحى، وتخفيف مزاحمة العامية لها على المدى البعيد.

### التوصيات:

١- العمل على تخفيف منابع العامية، وإحلال الفصحى محلها ولو تدريجيا، وفي خطوات علمية مدروسة، وثيدة لكنها رصينة ثابتة، مؤثرة.

٢- الاهتمام بالمرحل التأسيسية في البيئة اللغوية التي ينشأ فيها الطفل بدءاً من رياض الأطفال فصعودا في مراحل التعليم.

- ٣- إعداد المتعلم المؤهل، علميا ولغويا واجتماعيا ونفسيا، ليكون الركيزة الأساس في خلق البيئة اللغوية وإدارتها وتوجيهها باتجاه دفع العامية عن مزاحمة الفصحى.
- ٤- تفعيل اتفاقات العمل العربي المشترك في قصر برامج الأطفال على الفصحى، وتعزيز العامية عنها.
- ٥- دعوة الحكومات العربية الى سن قانون سلامة اللغة العربية، ولنا في تجربة العراق أنموذج يحتذى إذ أصدر مثل هذا القانون منذ سنة ١٩٧٧ وجرى تفعيله وتأكيد العمل به حديثا.
- ٦- التأكيد على ان الدعوة الى استعمال الفصحى لا تعني التشدد بها، وتصيد الألفاظ الغريبة وأطلاقها بطريقة تثير السخرية أحيانا، وإنما هي لغة سهلة بسيطة لا تعدو الاستعمال الإعتيادي غير المتكلف، المعهود لدى الناس.
- ٧- دعوة المؤسسات الفنية الى الكف عن عرض الصورة النمطية المفتعلة لمعلم اللغة العربية المبينة على المبالغة والسخرية، وهي لا تمثل الصورة الحقيقية لهذا المعلم الذي تخرج من بين يديه كبار الأدباء والمفكرين والمبدعين وقادة العالم في يوم ما.
- ٨- دعوة الحكومات العربية كافة الى الاتفاق على إقرار يوم محدد يخصص لتكريم اللغة العربية والاحتفاء بها في عموم البلدان العربية في ذلك اليوم.
- الجدول الآتي مصنوع بناءً على زيارات ميدانية ومقابلات شخصية مع معلمين ومتعلمين للغة العربية في مختلف مستويات التعليم، وقد تجنبت ذكر الأماكن وأسماء الأشخاص دفعا للحرج فالذي يهمنا هو النتائج المتحصلة من ذلك.

النسبة المئوية التقريبية للعامية	النسبة المئوية التقريبية للفصحى	جنس المتعلم	جنس المعلم	المرحلة الدراسية
١٠٠٪	٠٪	مختلط	أنثى	روضة الأطفال
أكثر من ٩٠٪	أقل من ١٠٪	بنات	أنثى	إبتدائية المرحلة الأولى
أكثر من ٩٠٪	أقل من ١٠٪	أولاد	أنثى	ابتدائية المرحلة الأولى
أكثر من ٧٥٪	أقل من ٢٥٪	أولاد	ذكر	الابتدائية السادس الابتدائي
أكثر من ٧٥٪	أقل من ٢٥٪	أولاد	ذكر	المتوسطة الثالث المتوسط
أكثر من ٦٠٪	أقل من ٤٠٪	أولاد	ذكر	الإعدادية السادس الأدبي
أكثر من ٥٠٪	أقل من ٥٠٪	مختلط	ذكر	الكلية المرحلة الأولى
أكثر من ٦٠٪	أقل من ٤٠٪	مختلط	أنثى	الكلية المرحلة الأولى
أكثر من ٥٠٪	أقل من ٥٠٪	مختلط	أنثى	الماجستير
أكثر من ٤٠٪	أقل من ٦٠٪	مختلط	ذكر	الماجستير
أكثر من ٣٠٪	أقل من ٧٠٪	مختلط	أنثى	الدكتوراه
أكثر من ٤٠٪	أقل من ٦٠٪	ذكر	مختلط	الدكتوراه مناقشة أطروحة

يلحظ من الجدول الآتي:

- ١- شيوع العامية في المراحل التعليمية التأسيسية كرياض الأطفال والابتدائية.
- ٢- جنس الأنثى أكثر استعمالا للعامية من جنس الذكر في مختلف المراحل.
- ٣- دخول العامية الى تعليم العربية في الكليات الإنسانية بدراسيتها الأولية والعليا.
- ٤- وصول العامية الى المناقشات العلمية للرسائل والأطاريح الجامعية وهي مختصة باللغة العربية وبنسبة شيوع كبيرة.
- ٥- ان نسبة شيوع العامية في مختلف المستويات الدراسية تمثل نسبة تنذر بالخطر.

## الهوامش

- ١ - ط: بلا، شارل، تاريخ اللغة والآداب العربية، تعريب: رفيق بن وناس وزميليه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ص ٦٨.
- ٢ لعبيبي، حاكم مالك، الترادف في اللغة، وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠، ص ١٤.
- ٣ ط حسان، تمام، اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، مطبعة النجاح الحديثة، الدار البيضاء المغرب، ١٤٠٠هـ، ٢٠١٢ م، ص: ومناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٧٤، ص ٢٦ - ٥٧، ودي سوسير، فرديناند، علم اللغة العام، ترجمة: د. يوثيل يوسف عزيز، مراجعة: د. مالك المطليبي، دار الكتاب للطباعة، الموصل، ط٢، ١٩٨٨، ص ٢٦ - ٣٦.
- ٤ ط: آل صوينت، د. مؤيد، انطولوجيا المعرفة اللغوية، الدار العربية للعلوم ناشرون، مكتبة عدنان للطباعة والنشر ط١، ١٤٢٣ هـ، ٢٠١٢ م، ص ٨٤ - ٨٩.
- ٥ حسان، تمام / اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ١٩٠.
- ٦ حسان، تمام، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص ١٩٣.
- ٧ عبد العزيز، د. محمد حسن، مدخل الى علم اللغة، دار النمر للطباعة، القاهرة، ١٩٩١، ص ١٨.
- ٨ العقاد، عباس محمود، ساعات بين الكتب، مكتبة النهضة، القاهرة، ص ١٠٠.
- ٩ جعفر، الدكتور نوري، اللغة والفكر، نشر وتوزيع مكتبة التومي، الرباط، المغرب، ١٩٧١ ص ٦٩.
- ١٠ عبد العزيز، د. محمد حسن، ص ١٢.
- ١١ م. نص ٩.
- ١٢ المتوكل، احمد، الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدار العربية للنشر ناشرون، منشورات الاختلاف، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١٤٢٣، ١٤٠٠-٢٠١٠ م، ص ١٢.
- ١٣ يمكن أن تمثل لهذا المستوى من التفكير بكل من الأدب الشعبي البسيط، وفنون الغناء بصورتها البسيطة، والطرفة المتدنية، والكلام لدى أصحاب مجموعة من الحرف والمهن كساتفي سيارات الأجرة والعاملين في إصلاحها وهؤلاء في الأغلب مجتمعات ذكورية مغلقة لها نمطها الخاص في التفاهم وعدم التخرج من بذيء الكلام، يقابلها في الطرف الآخر رجال الدين والفكر وأساتذة الجامعات ومن يعد في صف الطبقات المثقفة لتعرف الفرق في مستوى التفكير تبعاً لمستوى اللغة.
- ١٤ نعيبي، د. صادق محمد، التاريخ الفكري لأزمة اللغة العربية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ص ٤٧.
- ١٥ جعفر، د. نوري، ص ١٥٧.
- ١٦ م. ن: ص ١٥٥.
- ١٧ ط: بن تيباك، د. مرزوق بن صنيان، الفصحى ونظرية الفكر العامي، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط٢، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨ / ص ٣١ - ٣٧.
- ١٨ م. ن، ص ٢٤.
- ١٩ م. ن، ص ١٤.
- ٢٠ لسنا هنا في موقف مضاد للتراث الشعبي، او تأييد الدعوة الى اغفاله ومحاصرته فهو جزء اصيل من تكوين شعبنا ويمثل مصدرا للقيم الاصيلية التي نعتز بها، بل اننا من الساعين الى الحفاظ على هذا التراث وتسجيله قبل ان تأكله آفة الضياع، ولكن الموقف العلمي يفرض علينا ان نشير الى ان اعلاء شان التراث بلهجته العامية وتقديمه على الفصحى وجعله بديلا او ممثلا وحيدا للحضارة العربية هو موقف يترك آثارا غير محمودة على العربية الفصحى.
- ٢١ ط: ريديلي، مات، الجينوم قصة حياة الجنس البشري في ثلاثة وعشرين فصلا، ترجمة: محمد فتحي خضر، كلمات للترجمة والنشر القاهرة، ط٢، ٢٠١٢، ص ١٢١ - ١٢٨.
- ٢٢ علي، د. محمد محمد يونس، مدخل الى اللسانيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤، ص ٢٢.

٢٢ ولد في ١٨٨٨ واصبح وزيرا للمعارف أي التربية والتعليم في الحكومة الملكية في العراق سنة ١٩٢٤، استوزر مرات عدة، وكان معروفا بكونه شاعرا وباحثا، اصبح رئيسا للمجمع العلمي العراقي منذ تأسيسه في سنة ١٩٤٨، وعضوا في مجعدي دمشق والقاهرة، توفي في سنة ١٩٦٥. وله ديوان شعر وعدة مؤلفات مشهورة.

٢٤ الظالمي، د. حامد، الشيخ محمد رضا الشبيبي ودراساته اللهجية دراسة وجمع، دار الفيحاء، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٣ هـ - ٢٠١٢ م، ص ٢٢٢.

### المصادر

- × آل صوينت، د. مؤيد، انطولوجيا المعرفة اللغوية، الدار العربية للعلوم ناشرون، مكتبة عدنان للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٣ هـ، ٢٠١٢ م.
- × بلا، شارل، تاريخ اللغة والآداب العربية، تعريب: رفيق بن وناس وزميليه، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٩٧.
- × بن قتياب، د. مرزوق بن صنينان، الفصحى ونظرية الفكر العامي، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، ط٢، ١٤٠٨ هـ، ١٩٨٨.
- × جعفر، الدكتور نوري، اللغة والفكر، نشر وتوزيع مكتبة التومي، الرباط، المغرب، ١٩٧١.
- × حسان، تمام، اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، مطبعة النجاح الحديثة، الدار البيضاء المغرب، ١٤٠٠ هـ، ٢٠١٢ م.
- مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط٢، ١٩٧٤.
- × دي سوسير، فرديناند، علم اللغة العام، ترجمة: د. يوثيل يوسف عزيز، مراجعة: د. مالك المطلبي، دار الكتاب للطباعة، الموصل، ط٢، ١٩٨٨.
- × ريديلي، مات، الجينوم قصة حياة الجنس البشري في ثلاثة وعشرين فصلا، ترجمة: محمد فتحي خضر، كلمات للترجمة والنشر القاهرة، ط٢، ٢٠١٣.
- × الظالمي، د. حامد، الشيخ محمد رضا الشبيبي ودراساته اللهجية دراسة وجمع، دار الفيحاء، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٣ هـ - ٢٠١٢ م.
- × عبد العزيز، د. محمد حسن، مدخل الى علم اللغة، دار النمر للطباعة، القاهرة، ١٩٩١.
- × العقاد، عباس محمود، ساعات بين الكتب، مكتبة النهضة، القاهرة، ب. ت.
- × علي، د. محمد محمد يونس، مدخل الى اللسانيات، دار الكتاب الجديدة المتحدة، بيروت، ط١، ٢٠٠٤.
- × لعبيبي، حاكم مالك، الترادف في اللغة، وزارة الثقافة والاعلام، دار الرشيد للنشر، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠.
- × المتوكل، احمد، الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدار العربية للنشر ناشرون، منشورات الاختلاف، مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ١٤٢٣ هـ - ٢٠١٠ م.
- × نعيمي، د. صادق محمد، التاريخ الفكري لأزمة اللغة العربية، أفريقي الشرق، الدار البيضاء، المغرب.